Comprehensive Journal of Science
Volume (10), Issue (39), (March, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (10) العدد 39 مارس 2026
ردمد: 3014-6266

البِنْية العميقة والبِنْية السطحية عند عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) من خلال نظرية النظم

نجلاء عمر إمحمد سعد السعفي

قسم اللُّغة العربية _ كلية التربية زلطن _ جامعة صبراتة

Najla.saad@sabu.edu.ly

Deep Structure and Surface Structure in the Thought of Abd al-Qahir al-Jurjani (d. 471 AH) Through the Theory of Systems

Najla Omar Muhammad Saad al-Saafi

Department of Arabic Language, Faculty of Education, Zliten, University of Sabratha

تاريخ الاستلام:2026/01/02 –تاريخ المراجعة: 2026/01/20– تاريخ القبول: 2026/01/29– تاريخ للنشر:2026/02/21

الملخص

خَلُصت هذه الدراسة إلى أن عبد القاهر الجرجاني ومن خلال نظرية النظم بفكره الفذّ وحسّه اللُّغوي المرهف ، ومن خلال اهتمامه بالنظرة الفلسفية للُّغة بالربط بين اللُّغة والفكر ، قد سبق علماء اللُّغة المحدثين في الإشارة و الحديث عن العديد من المفاهيم اللُّغوية الحديثة ، ومنها مفهوم مصطلح البنية العميقة والبنية السطحية للُّغة ، وكيف أن هذه المفاهيم وإن جاءت بمصطلحات جديدة إلا أنه قد تم طرحها من قِبل علماء اللُّغة العربية القدماء ودراستها بشكل مستوفِي يقارب بشكل كبير ما جاء في النظريات اللُّغوية الحديثة ، و هذا لا يطمس الجهود الحديثة في مجال اللُّغة ، و إنما هو إشـــارة إلى أن أغلب النظريات اللُّغوية الحديثة بما فيها من مصـــطلحات ومفاهيم وأســـس تُبنى عليها ما هي إلا أبواب و أفكار تم طرحها و إخضاعها للدراسة والتحليل من قِبل علماء اللُّغة العربية القدماء .

الكلمات المفتاحية : البِنية ، العميقة ، السطحية ، النظم ، الجرجاني ، تشومسكي .

المقدمة :

بسم الله والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه ...

أمّا بعد ،

ما من شـك في أن الدراسـات اللُّغوية القديمة في العربية تلتقي مع الكثير من المفاهيم والمبادئ التي تقوم عليها النظريات اللُّغوية الحديثة ، و هو ما يشير إلى سبق علماء العربية قديماً في دراسة و تحليل هذه المفاهيم اللُّغوية ، وفي الوقت ذاته لا يمكننا أن ننكر أن علماء اللُّغة الغرب المحدثين قد توسعوا في دراسة هذه المفاهيم و وظفوها في الاستعمال اللُّغوي و وضـعوا منها نظريات لغوية متكاملة ، و إن كان السـبق لعلماء العربية في دراسـة هذه المفاهيم لكن من جاء بعدهم لم يكمل ما بدأه علماء العربية ، و هذا يفسر الفجوة الزمنية الكبيرة بين علماء اللغة القدامى والمعاصرين .

ومن هذه المفاهيم الحديثة التي وردت في النظريات اللُّغوية الحديثة ما جاء به عالم اللُّغة الأمريكي اليهودي ناعوم تشـومسـي في نظريتة التوليدية التحويلية مصـطلحي (البنية العميقة والبنية السـطحية للغة) ، وعند العودة إلى الوراء والبحث والتنقيب في التراث اللغوي العربي نجد ما يقارب هذه المفاهيم بشـكل ولا سـميا عند العالم الجليل عبد القاهر الجرجاني ت 471 هـ، من خلا نظرية النظم التى فصل فيها القول في كتابه (دلائل الإعجاز)وكيف كان له السبق في ذلك على الرغم من الفترة الزمنية الممتدة بين عبد القاهر الجرجاني و تشومسكي .

وتهدف هذه الدراســـة إلى المقاربة بين بين المفاهيم اللغوية الحديثة وما جاء في التراث اللغوي العربي ، وتدور إشـــكالية الدراسة حول تساؤل رئيس مفاده ماهو مفهوم البنية العميقة والبينة السطحية في اللُّغة وكيف تم تناولهم من قِبل عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم ؟

وسأعتمد على المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لموضوع الدراسة .

وقد فرضت طبيعة الدراسة تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد فيه تعريف بعبد القاهر الجرجاني ونبذة مختصرة عن نظرية النظم ،و مبحثان المبحث الأول ســيدرس مفهوم البنية العميقة والبنية الســطحية في الدرس اللســاني الحديث دراســة في المفهوم والخصــائص ودور التحويل في الانتقال من البنية العميقة إلى البنية الســطحية ، وفي المبحث الثاني ســنتعرض لمفهومي البنية العميقة والبنية السطحية عند عبد القاهر الجرجاني ، ثم خاتمة بها أهم النتائج .

التمهيد :

التّعريف بعبد القاهر الجرجاني ت471هـ :

يُعدُّ عبد القاهر الجرجاني شخصية فريدة وفذة ، ومن الشخصية العبقرية التي وقفت على أسرار البيان ودقائق العربية ، وقد كان عبد القاهر الجرجاني ذا ثقافة واسعة ، و خاصة فيما يتصل بالأدب وأسرار النظم ، ودقائق المعاني في اللُّغة [1] .

وهو : " عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، وهو من أسرة فارسية " [2] .

و " قد نشـأ ولوعاً بالعلم محباً للثقافة ، فأقبل على الكتب يلتهمها ؛ و بخاصـة كتب النحو والأدب ، وربما كان اتجاهه إلى هذين اللونين ناشئاً من اقتفائه أثر أستاذه أبي الحسن محمد بن الحسن بن عبد الوارث الفارسي النّحوي نزيل جرجان " [3] .

كما تتلمذ عبد القاهر الجرجاني على الكتب ، يقرؤها بفكرٍ واعٍ ، ويقف متريثاً أمام نصـوصـها ، شـأن الطالب الذي يعتمد على نفسـه في القراءة والتحصـيل ، وقد رأيناه في كتبه ينقل عن سيبويه الجاحظ وأبي علي الفارسـي ، وابن قتيبة وقدامه والآمدي والقاضي الجرجاني ، وأبي هلال العسكري [4] .

نبذة عن نظرية النظم :

قبل الخوض في مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني لابد من التعريف اللُّغوي لمصطلح النظم .

النظم لغةً : " التأليف : نظمه نظماً ونِظاماً ، ونظَّمه فانْتَظم و تنظَّمَ ، و نَظَمْتُ اللؤلؤَ أي جمعته في السِّـلك ، والتَّنظيم مثله ، ومنه نَظَمْتَهُ ، والنَّظم : ما نظمْتَهُ من لؤلؤٍ و خرزٍ وغيرهما ... وليس لأمرهما نظام ، أي ليس له هدى ولا متعلَّق ولا استقامة " [5] .

فمعنى النظم في اللُّغة لا يخرج عن التأليف ، والجمع والاقتران ، والضم والتعليق والاستقامة ، وكل هذه الألفاظ تدلّ على مختلف علاقات الرّبط والجمع بين الأشياء وفق نسقٍ ما ، أي وفق شروط .

ولم يكن الإمام عبد القاهر الجرجاني أول من تحدّث في النظم ، لا من حيث اسـتخدام هذا المصـطلح ، و لا من حيث البحث عن هيكل نظرية لغوية يتم على أســاســها التقييم الحمالي للنصــوص الأدبية ، ومحالولة تصــور جانب من إعجاز القرآن البلاغي ، فقد سبقه الجاحظ (ت 256هـــ) إلى الحديث عما اسماه (نظم القرآن) ، وفصّل القول فيه ، وسبقه كذلك القاضي عبد الجبّار الأسدآبادي (ت 415 هـ) حين حاول أن يؤسس تصوراً لغوياً جمالياً أسماه (الضّم) لا تختلف عناصر هيكله الرئيس عن عناصر النّظم التي أمتد بها عبد القاهر الجرجاني امتداداً رأسياً و أفقياً ، وأمتدَّ بجذورها إلى علوم النحو واللّغة والبلاغة ، وبتطبيقاتها إلى نصـوص القرآن الكريم والشّـعر ، حتى حملت النظرية اسـمه ، وبها عُدَّ واضعاً للأسس النظرية لعلم الأسلوب ، و صاحب أكثر النظريات الجمالية اكتمالاً في تاريخ النقد العربي [6] .

ولا يمكن أن نغفل على إن مصـطلح النظم عُرِف في الجاهلية بأنه النطق على أسـاليب العرب ، وفي العصـر الأموي لم يُلتفت إلى مسـألة النظم في الشـعر بقدر ما أنصـب الاهتمام بإعجاز القرآن ، الذي جاء بنظمٍ راقٍ لا يماثله كلام العرب ، وفي القرن الثالث عرف النظم مفهوماً مغايراً عند الجاحظ الذي أقرّ الجمال لتناسق الألفاظ المفردة [7] .

مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني :

يقول عبد القاهر الجرجاني : " اعلم أن ليس النظّم إلا أن تضـع كلامَك الوضـع الذي يقتضـيه علمُ النحو ، وتعمل على قوانين وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نُهِجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رُسِمت لك فلا تخل بشيء منها " [8] ويقصد بالنظم هنا تأليف الكلام وفقاً لأبواب النحو وقوانينه المختلفة .

كما يقول عبد القاهر الجرجاني في نظم الكلام : " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل إن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها ، على الوجه الذي اقتضاه العقل " [8] ، فمن خصـائص نظم الكلام أن ترتيب الألفاظ في الكلام يكون موافقاً لترتيب المعاني في النفس .

كما يقول الجرجاني في مفهوم نظم الكلام :" واعلم أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلّق بعضـــها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسببٍ من تلك ، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس " [9] ، فالألفاظ لا توضـع متجاورة دون تعلّق بعضـها ببعض ، ويشـكل هذه الرابطة علاقات نحوية بدونها لا يتم كلام ولا يُف هم حديث ، ويتم ترتيب الكلمات و نظمها على ترتيب المعاني في النفس ، فأنت ترتب المعاني أولاً في نفســك ثم تحذو على ترتيب الألفاظ في نطقك [9] .

ويمكن أن مما سبق أن مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني ينحصر في ثلاث دلالات وهي :

– الدلالة النحوية : فنظم الكلام عنده يقوم على محور أســاســي و ركيزة لا يمكن التغافل عنها وهي أن يكون نظم الكلام متوافقاً مع الصحة النحوية وقواعد النحو المعروفة ، وأن يرتبط نظم الكلام بروابط نحوية تدعم السياق العام للسياق .

– دلالة البناء : حيث يذهب الجرجاني أن مؤلف القول يفكر في المعنى الذي يريد أن يصوره ، ويرتب المعنى في نفسه ثم يختار النظم المناسب من الألفاظ المرتب حسب ترتيب المعاني في النفس فيقدم ما تقدم في نفسه

ويؤخر ما تأخر فيها ، ويختار من الألفاظ أخصـها بالمعنى ، وأكثرها كشف عنه ، ويحسن الوصول إلى الكلمة الدقيقة في موضعها اللائق بها ، لأنه لا فضل لعلم بمعاني الكلم ، وإنما الفضل لحسن التخيير ، ومعرفة الموضع [10] .

–الدلالة المقامية : وهي أن يوضـع الكلام متناسباً مع السياق العام حيث : " تتحد أجراء الكلم ويدخل بعضـها في بعض ، ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأول ، وأن يُحتاج إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً " [11] .

إذا بعد هذا العرض الموجز والنبذة المختصرة لمفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني نجد أنه يؤكد على شدة ارتباط الفكر باللُّغة ، وعدم إمكانية الفصــل بينهما ، ,أن عملية التفكير بالمعاني ســابقة لعملية وضــع الألفاظ ، وأن نظم الكلام يعتمد بشـكل أسـاسـي على النحو وتعليق الكلم بعضــه ببعض ، وأن لكل لفظ موضــعه في النظم وهو تابع لموضــعه في ترتيب المعاني في النفس ....

المبحث الأول – البنية العميقة والبنية السطحية في الدّرس اللساني الحديث :

قبل الخوض في الحديث عن مفهوم البنية العميقة والبنية الســطحية في الدّرس اللســاني الحديث لابد من معرفة المفهوم اللّغوي لمصطلح البِنية .

_ البِنْية في إطار اللّغة : البنية في معاجم اللّغة هي : " الهيئة التي بني عليها ... والبِنية ما بنيته ، وهو البُنى والبَنى ، وأنشـد الفارسـي عن أبي الحسن : أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى "[12] ، " و البِنْيَةُ : ما بُنى ... و هيئة البناء ، ومنه بِنْة الكلمة : أي صيغتها ، وفلان صحيح البِنْنة " [13] .

والبنية في الدرس اللغوي نوعان : بنية ســـطحية ، وبنية عميقة ، والبنية الســـطحية (Surface Structure) هي : كل هيكل الشيء و وحدته المادية الظاهرة ، والبنية العميقة (Deep Structure) فهي كامنة في صميم الشيء ، وهي التي تمنح الظاهرة هويتها وتضفي عليها خصوصيتها [14] .

كما يمكن التعبير عن البينة السـطحية والبنية العميقة بقولنا : (الظاهر والباطن) كما يرى كثير من النحاة " وهذا الظاهر ملمس لذلك الباطن ، كل جزء منه منطوٍ عليه ومحيط به " [15] ، وذلك "لأن حسن الظاهر يدل على حسن الباطن " [16]

ومن خلال التعريف اللّغوي لمصـــطلح (البنية) نســتطيع القول أن البنية جاءت بمعنى هيئة الشـــيء والقالب الذي يمثل الشكل الكلي الذي يشمل المضمون والقشرة أي ظاهر الشيء .

_ مفهوم البنية في إطار الاصطلاح :

أما اصـطلاحاً فيمكننا أن نقف على المفهوم الاصـطلاحي لكلمة (البنية) بشـكل عام ، حيث إن بنية الكلمة عند الغرب (Structure) مشـتقة من الفعل اللاتيني (Struecre) بمعنى يبني أو يشـيد ، ومن خلال الدلالة اللغوية لمصـــطلح (البنية) يظهر موضوع منتظم له صورته الخاصة و وحدته الذاتية ، فتكون أي زيادة في المبنى تتبعها زيادة في المعنى ، فيؤدي كل ما في البنية إلى تحول في الدلالة ، لأن كلمة (البنية) " في أصـــــلها تحمل معنى المجموع و الكل ، وهي عبارة عن ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه ويتحدد من خلا لعلاقته بما عداه " [17] .

وبعد هذا العرض لمفهوم مصطلح (البنية) في اللّغة والاصطلاح يتبين لنا أنه بمعنى الوعاء أو القالب الذي يضم ويحوى ما بداخله ويتشّكل على شاكلته في الواقع .

_ نشأة مصطلح البنية العميقة والبنية السطحية :

إن أول من استعمل مصطلحي (البنية العميقة _ Deep Structure ، والبنية السطحية _ Surface Structure) هو تشـــرلز هوكيت (Charles Hockett) في مؤلفه الشـــهير " محاضـــرة في اللســـانيات الحديثة " ، ولم يظهر هذان المصطلحين عند تشومسكي_" أفرام نعوم تشومسكي (Afrram Naom Chomsky) ، وُلد في فيلادلفيا بولاية بنسلفاينا في الســابع من ديسـمبر عام 1929 م ، وهو ينتمي لأسـرة يهودية متطرفة سـياسـياً من أصـل روسـي ، وقد أعد رسـالة الماجستير في العبرية الحديثة سـنة 1951م ، وحصـل على درجة الدكتوراه سـنة 1955م ، والتي كانت بعنوان (التحليل التحويلي) ، وقد ظل يترقى في حياته العلمية حتى وصل إلى كرسي الأستاذية في علم اللّغة واللّغات الحديثة " [18] - وهو صـاحب النظرية التوليدية التحويلية بطريقة جلية إلا في " مظاهر النظرية التركيبية " سـنة 1965 م ، و ملخص القول : إن لكل جملة بنيتين _ بنية عميقة وبنية سـطحية ، أما البنية العميقة فهي الشـكل التجريدي (Abstract) الداخلي الذي يعكس العمليات الفكرية ، ويمثل التفسـير الدلالي الذي تُشـتق منه البنية السـطحية من خلا ل سـلسـلة من الإجراءات التحويلية .

أما البنية السطحية فتمثل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل ، أي في شكلها الفيزيائي ، بوصفها مجموعة من الأصـوات أو الرموز ، وحسـب التحويليين فإن هاتين الجملتين : كتب أحمد الرسـالة _ كُتبت الرسـالة من قبل أحمد ، لا تختلفان إلا من الناحية التركيبية ، أي على مسـتوى البنية السـطحية ، ولكنهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً على مسـتوى البنية العميقة [19] .

أولاً/ مفهوم البنية العميقة في الدّرس اللساني الحديث :

ومفهوم البنية العميقة عند تشـومسـكي : " هي التركيب الذي يكون عقلياً خالصـاً وينقل التكوين الدلالي للجملة ، كما أنها نظام من الافتراضات المنظمة بطرق مختلفة ، أي افتراضات أولية لتشكل المبتدأ والخبر أو الفعل و الفاعل أو غيرهما "أما

مفهوم البنية العميقة عند لاكون : " هي تنظيم الوحدات القاموسية في أنواع مناسبة ، وهي تلك الصلات الأساسية النحوية كذلك الوظائف الرئيسية النحوية مثل : صلة المبتدأ والخبر " [20] .

وتعد البنية العميقة للكلام أساسية لفهم مضمون الكلام وتفسيره تفسيراً دلالياً ، وهي ضمنية وتتشكل في ذهن المتكلم كفكرة تحاول التعبير عنها من خلال البنية السطحية والتي قد تكون كلاماً منطوقاً [21] ، أو تتابع كلامي منطوق أو نصاً مكتوباً ، كما يمكن أن يُعبر عنها بالإشارات أو الرموز غير اللغوية .

ويُطلق على مفهوم البنية العميقة مصـــطلحات أخرى منها الجملة النواة ، أو المنتجة أو التوليدية أو البذرة ، أو البنية الأولية ؛ ذلك لأن البينة العميقة متمثلة في الذهن قبل أن تتحول إلى كلام فعلي فهي : " الأســـاس الذهني المجرد لمعنى معين ، يوجد في الذهن ، ويرتبط بتركيب جملي أصـــولي ، وهي النواة التي لابد منها لفهم الجملة لتحديد معناها الدلالي ، و غن لم تكن ظاهرة فيها " [22] .

_ خصائص البنية العميقة :

تتماز البنية العميقة بالعديد من الخصائص التي تميزها عن البنية السطحية ومن أهمها :

– صعوبة تحديدها ؛ لأنها تعتمد على إعمال الفكر .

– ليس لها شكل معين أو صياغة واحدة ، فهي تختلف باختلاف المتصور لها .

– تعتمد على المعنى أكثر من اعتمادها على اللفظ ، فهو محورها ومناط اهتمام الباحثين عن البنية العميقة .

– أقدم من البنية السطحية نشأةً في تصور أكثر العلماء ، لذا فهي مصدر أو مرجع البنية السطحية [23] .

ثانياً / مفهوم البنية السطحية في الدّرس اللساني الحديث :

كما ذكرنا سابقاً فإن البنية السطحية هي " الجملة المستعملة في عملية التواصل ، أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات أو الرموز " [24] .

وقد أوضح تشومسكي مفهوم البنية السطحية من خلال دراسته للّغة على مبنيين هما : المبنى السطحي والمبنى العميق ، و قد اوضـــح أن المبنى الســـطحي أو (البنية الســـطحية) هي البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي ينطق بها المتكلم ، وهي ترتيب الوحدات الســطحي الذي تحدد التفســير الفونتكي ، والذي يرد إلى شــكل الكلام الفعلي الفيزيائي ، وإلى شــكله المقصود والمدرك ، وترتبط البنية السطحية بالأصوات اللغوية المتتابعة ، و تحدد تفسير الجمل من الناحية الصوتية [25] .

إن البنية السطحية هي بنية تمثل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل ، أي إنها مجموعة من العلامات اللسانية الملفوظة أو المكتوبة ، تميزت بأنها تختلف من لغة إلى أخرى [26] .

. خصائص البنية السطحية :

للبنية السطحية للغة خصائص تميزها عن البنية العميقة ومن أهمها :

. هي البنية المنطوقة والمسموعة أو المكتوبة فعلاً لا تصوراً أو تخيلاً .

ـــــ الاختصار ؛ لأن المتكلم يعمد إلى ما يريد بأقل الجمل أو الكلمات ، لذلك فهو يُغفل في منتجه اللغوي النهائي كل ما يرى أو يتصور إنه غير مفيد و زائد .

ـ السهولة والوضوح في المعنى والبعد عن التعقيدات اللغوية ما أمكن ، فالاهتمام باللفظ يحتل مكانة عظيمة عند المتعاملين مع البنية السطحية .

ــ الإعراب ، لأن هذه البنية يجب أن تطبق القواعد اللغوية والنحوية ، فما صيغ على كلام العرب هو من كلام العرب [27] .

إذاً بعد هذا العرض الموجز لمفهومي البنية العميقة والبنية السطحية والإطلاع على الخصائص التي تتماز بها كل منهما على الأخرى ، يتضح لنا الارتباط الشديد بينهما فهما وجهان لعملة واحدة ، وكل منهما تحصيل حاصل للأخرى ، فالبنية العميقة تمثل المعاني والأفكار التي تدور في الذهن ، والبنية السطحية هي الطريقة والوسيلة للتعبير عن هذه المعاني والأفكار بطريقة مدركة وملموسة وتختصر الكم الكبير من المعاني بأقل عدد من الألفاظ والجمل .

ولا يمكننا عند الحديث عن البنية العميقة والبنية السطحية للغة أن نغفل الحديث عن التحويل وإجراءاته بوصفها صلة الوصل بين البنية العميقة والبنية السطحية .

ـالتحويل ودوره في الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية في اللّغة :

من المعروف أن النظرية التوليدية التحويلية التي جاء بها تشومسكي في اللّغة قائمة على محورين أساسيين هما التوليد (Generation) والتحويل (Transfamation) [28] .

و " والتوليد هو : انبثاق تركيب أو مجموعة من التراكيب من جملة هي الأصل ، وتسمى الجملة النواة ، أو الأصل بالجملة التوليدية ، وهي جملة تؤدي معنى مفيد ، مع أقل عدد من الكلمات و خالية من ضروب التحويل، أما التحويل فيجري باشتقاق جملة أو مجموعة من الجمل من الجملة الأصل أو الجملة النواة " [28] .

والتحويل مجموعة من الإجراءات تنقل التراكيب من البنية العميقة المتمثلة في المستوى الباطني العميق والخفي للغة إلى مستواها السطحي الظاهري ، فهو يُعنى بنقل كفاية المتكلم اللغوية إلى كلام منجز ، و يمكن تعريف التحويل بأنه : " وصف العلاقة بين التركيب الباطني والتركيب الظاهري " [29] ، فهو محصلة إجراءات يجريها مستعمل اللّغة على الجملة النواة ، وهذه الإجراءات عبارة عن " التغيرات التي أدخلها المتكلم على النص ، فينقل بها البنيات العميقة المولدة عن أصل المعنى إلى بنيات ظاهرة على سطح الكلام ، وتخضع بأثرها إلى الصياغة الحرفية الناشئة عن التقطيع الصوتي " [30] .

وقد قام تشومسكي بتطوير وتعديل مفهوم التحويل بما يتوافق مع نظريته التحويلية بعد أن التحويل عند (هاريس) وسيلة لوصف اللّغة لا لإنتاج الجمل و توليدها ، في حين يرى تشومسكي أن التحويل عبارة عن قواعد تحويلية و قواعد نحوية لتركيب أركان الجملة ، فتصبح القواعد التحويلية ، ذات بناء منطقي أشد تعقيداً [31] .

ويمكن أن نشير إلى أن التحويل من الجملة التوليدية إلى جمل تحويلية يكون بإخضاع هذه الجملة لعدد من الإجراءات والقواعد التحويلية ، حيث يقول تشومسكي : " قد وضعت نظرية النحو التحويلي مجموعة من القواعد هي : الحذف ، قواعد الإحلال ، الاستبدال ، وقواعد التوسع أو التمديد ، و قواعد الاختصار ، و قواعد الزيادة أو الإضافة ، و قواعد إعادة الترتيب " [32] .

وهكذا تمضي البنية العميقة عبر التحويلات نحو البنية السطحية ، حيث ترتبط البنية العميقة بمستوى الجملة الدلالي فهي : " من نتاج العناصر المغذية لكل من المكونين النحوي والدلالي ، في حين ان البنية السطحية نتاج المكون التحويلي (استعمال قواعد تحويلية) بما في ذلك العناصر المغذية للمكون الفونولوجي " [33] .

بعد هذا العرض الموجز لمفهوم البنية العميقة والبنية السطحية في الدّرس اللساني الحديث ، ومفهوم التحويل لكونه وسيلة الربط بينهما من خلا ل قواعد التحويل المعروفة ، يمكننا لأن أن نربط بين هذا المفهوم الحديث وبين ما تحدّث عنه عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم في المبحث الثاني .

المبحث الثاني – البنية العميقة والبنية السطحية عند عبد القاهر الجرجاني :

أولاً . مفهوم البنية العميقة عند عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم :

إن مفهوم البنية العميقة للغة عند عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم يمكن أن نحيله إلى مفهوم (ترتيب المعاني في النفس) ، حيث يقول في كشف وهم في مسألة ترتيب الألفاظ في و السمع في من يقول : " أن المعاني لا تترتب في

نفســه إلا بترتُب الألفاظ في ســمعه ، ظن عند ذلك أن المعاني تبع للألفاظ ، أن الترتُب فيها مكتســب من الألفاظ ، ومن يرتبها في نطق المتكلم ، وهذا ظن فاســد ممن يظنّه ، فإن الاعتبار ينبغي أن يكون لحال الواضــع للكلام والمؤلف له ، و الواجب أن ينظر إلى حال المعاني معه لا مع الســامع ، و إذا نظرنا علمياً ضــرورة أنه مُحال أن يكون الترتُب فيها تبعاً لترتُب الألفاظ و مكتسباً عنه ، لأن ذلك يقتضي أن تكون الألفاظ سابقة للمعاني ، و أن تقع في نفس الإنسان أولاً ثم تقع المعاني من بعدها و تالية لها ، بالعكس مما يعلمه عاقل ، هل كانت الألفاظ إلا من أجل المعاني ؟ و هل هي إلا خدمٌ لها ، ومصّرفة على حكمها ... فكيف يُتصور أن تسبق (الألفاظ) (المعاني) و أن تتقدمها في تصور النفس ؟ ... و ما أدري ما أقول في شــيء يجر الذاهبين إليه إلى أشباه هذا من فنون المحال وردي الأقوال " (34) ، فمفهوم البنية العميقة في الدراســات اللســانية الحديثة هي البنية الباطنية الموجودة في ذهن الإنســان ، و بمعنى آخر هي الأفكار و المعاني المجردة التي تدور في الذهن وتحتاج إلى تحديد وصقل و إيضاح عن طريق طرحها في إطار مادي ملموس وهو ما يعبر عنه بالبنية السطحية للغة .

وقد أشــار الجرجاني إلى أن المعاني تكون مرتبة في الذهن ويتعبها في الترتيب الألفاظ فتكون تبعاً للمعاني لأنه بطبيعة الحال فالمعاني سابقة للألفاظ .

وقد خلص عبد القاهر الجرجاني أن الميزة البلاغية تكمن في المعنى الذي تحدثه الألفاظ إذا ألفت على ضــرب خاص ، و رتبت ترتيباً معلوماً ، بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام على حســب ترتيب معانيها في النفس ، و هذه المعاني يكون ترتيبها في النفس على ما يقتضي النحو ليثبت أن النظم هو ترتيب معاني الألفاظ و تواليها في النطق (34) .

وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني : " و أن الكلم تترتب في النطق بســبب ترتيب معانيها في النفس " (35) ، ثم قال : " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق ، بل إن تناســقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضــاه العقل " (36) .

و مثال لسوء الترتيب قول الفرزدق :

و ما مثله في النـــاس ألا مملكــــــاً

أبــــو أمـــه حي أبوه يقاربـــه

و قال عبد القاهر الجرجاني موضحاً لبيت الفرزدق : " فانظر أتتصور أن يكون ذلك للفظه من حيث إنك أنكرت شيئاً من حروفه ، أو صــادفت وحشــياً غريباً ، أو ســوقياً ضــعيفاً ؟ أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في ذكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر ؟ فكد و كدر ، ومنع الســامع يفهم بأجزاء تتألف منها صــور ولكن بعد ان يراجع فيها باباً من الهندســة لفرط ما عادى بين أشكالها ، وشدة ما خالف بين أوضاعها " (37) .

فلو تأملنا كلام الجرجاني لوجدنا أنه لم يردَّ غموض المعنى إلى التعقيد اللفظي ، بل رده إلى كون الشاعر لم يرتب الألفاظ في النطق على حسب ترتيبها في نفسها وهذا ما جعل السامع ارتبك عليه فهم البيت والوصول إلى غرضه .

ومن خلال ما سبق نجد أن عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرته الفلسفية للغة وإصراره على ربط اللغة بالفكر قد قارب بشكل جلي فكرة وجود البنية العميقة للغة ، و أن الكلام قبل أن وجوده في الواقع هو موجود ي الذهن ولابد أن يكون ترتيب الألفاظ تابعاً لترتيب المعاني في النفس لأن المعاني سابقة للألفاظ ، والألفاظ هي تبعاً للمعاني و الأفكار وخادمة لها ...

ثانياً . البنية السطحية عند عبد القاهر الجرجاني :

البنية السطحية للُغة هي الألفاظ أو الكلام الذي يُعبر به عن المعاني التي تختلج في النفس ، ويذهب عبد القاهر الجرجاني في هذا الصــدد إلى أن " مؤلف القول يفكر في المعنى الذي يريد أن يصــوّره ، و يرتب هذا المعنى في نفســه ، ثم يختار النظم المناسب لأدائه ، يقدم ما تقدم في نفسه ، و يؤخر ما تأخر فيها ، و يرتب في عباراته ، حتى تتفق مع المعنى الذي

يريد ، ويوازن بين الألفاظ ليختار أخصــها بالمعنى ، و أكثرها كشــفاً عنه ، و يحســن الوصــول إلى الكلمة الدقيقة في موضعها اللائق بها ، لأنه لا فضل للعلم بمعاني الكلم ، و إنما الفضل لحسن التخيّر ، ومعرفة الموضع " [38] .

وملخص قول الجرجاني أن المعاني يُعبر عنها بألفاظ مختارة توافق المعنى تقدياً وتأخيراً ، و تلائمه وتكشف عنه بصـورة جلية و واضحة ، مع حسن اختيار موقع هذه الألفاظ في نظم الكلام ، فلكل لفظ موضعه في النظم بحيث يكون كاللبنة في البناء يشد كل منها بالأخرى ، كذلك الألفاظ في نظم الكلام .

و يُعدُّ التعليق النحوي أوضــح صــورة ممكن أن تعبر عن البنية الســطحية عند عبد القاهر الجرجاني ، حيث يُعدُّ التعليق النحوي من أهم المحاور التي تقوم عليها نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، وهذا ما أكده عند قوله : " معلوم أن ليس النظم سـوى تعليق الكلم بعضــها ببعض وجعل بعضــها بسـبب من بعض " [39] ، والتعليق النحوي هو : " إنشــاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسـطة ما يسـمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية ، و تحدد معاني الأبواب في السـياق ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى و أفضل و أكثر نفعاً في التحليل اللّغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية " [40] .

وقد جعل عبد القاهر الجرجاني مرجع صحة أو فساد النظم قائماً على التعليق النحوي عن طريق العلاقات النحوية القائمة بين أجزاء الكلام ، حيث يقول : " فلا ترى كلاماً قد وُصـف بصـحة نظم أو فسـاده ، أو وصـفه بمزية وفضـل فيه ، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصــحة و ذلك الفســاد وتلك المزية وذلك الفضــل إلى معاني النحو و أحكامه ، و وجدته يدخل في أصل من أصوله ، ويتصل بباب من أبوابه " [41] .

كما تحدّث عبد القاهر الجرجاني عن قواعد التحويل في نظرية النظم من حذف و زيادة وتقديم و تأخير ، وتعريف وتنكير وهذه القواعد التحويلية هي التي تسمح لنا بتفسير العلاقات التي تربط بين البنية العميقة للجملة و بنيتها السطحية .

. النتائج :

يتبين لنا بعد هذا العرض أن عبد القاهر الجرجاني قد سـبق علماء اللُّغة المحدثين مثل تشـومسـكي في طرح فكرة أن للغة بنيتين ، بنية عميقة تدور حول المعاني في النفس وبنية سطحية تترجم هذه المعاني و الأفكار بشكل ملموس يكون متوافقاً مع معاني النحو ، وأن نظم الكلام وصـحته تقوم أسـاسـاً على مبدأ التعليق النحوي ، كما أنه من الواضـح أن عبد القاهر الجرجاني قد عالج فكرة البني العميقة والبينة السـطحية للغة من خلال نظرية النظم بشـكل مفصـل و متوسـع لا يدع مجال للشـك في أسـبقيته في طرح هذه المفاهيم في علم اللّغة ، كما أننا لا يمكننا أن نجحد الجهد اللّغوي للعلماء اللّغة المحدثين في استحداث نظريات لغوية تسهم في فهم اللّغة والمرور بها إلى مستويات أمق في الفهم والتفسير والتحليل والنقد .

. الهوامش :

1 ــــ دلائل الإعجاز ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، شـرح و تعليق / د.محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل للنشـر والطباعة والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 2004 م ، ص 30 .

2 . أنباه الرواة على أنباه النحاة ، لجمال الدين أبي الحسن القفطي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، 188/2 .

3 . المرجع السابق ، 2/ 188 .

4 ـ ينظر : أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق / محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د ت ، ص 7 ، 108 ، 112 ، 126 ، 172 ، 176 .

5 . لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (نظم) ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1494 هـ ، 12 / 686

6ــــ ينظر : نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، درويش أحمد إبراهيم ، دراسات عربية و إسلامية، مجلة محكمة ، جامعة القاهرة ، مركز اللغات الأجنبية والترجمة التخصصية ، 1985م ، ص 11 .

7. ينظر : نظرية النظم ، صالح بلعيد ، دار هومة ، الجزائر ، دط ، 2004 م ، ص 107 .

8 . دلائل الإعجاز ، ص 81.

9. المرجع السابق ، ص 49 .50.

10. المرجع السابق ، ص 55.

11 . ينظر: المرجع نفسه ، 51 .

12 . المرجع نفسه ، ص 64 .

13 . ينظر المرجع نفسه ، ص 399 .

14 المرجع السابق ، ص 73 .

15 . لسان العرب ، ابن منظور ، 14 / 94 .

16 . المعجم الوسيط ، مجمع اللُّغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، الطبعة الرابعة ، 1425هـ / 2004 م ، ص 72 .

17 . البنية العميقة ومكانتها لدى النحاة العرب ، أ ، د : عبد الله أحمد جاد الكريم حسن ، شبكة الألوكة ، .

18. الخصائص ، ابن جني ، تحقيق / محمد علي النجار ، طبعة عالم الكتب ، بيروت ، 2/ 476 .

19 ــــ ينظر: البنيوية (النشأة والمفهوم) عرض ونقد ، د . محمد بن عبد الله بن صالح بلعفير ، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية ،والاجتماعية ، جامعة الأندلس ، العدد 15 ، المجلد 16 ، سبتمبر 2017 م ، ص 239 .

20ــــ نظرية تشومسكي اللغوية ، جون ليونز ، ترجمة وتعليق /حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الأولى ، 1985 م ، ص 11 .12 .

21 ـ ينظر : اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مؤمن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الطبعة الخامسة ، قسطينة ـ الجزائر ، 2015 م ، ص 212 .

22ـ ينظر : علم اللُّغة نشأته وتطوره ، د.محمود جاب الله ، دار المعارف ، د ت ، الطبعة الأولى ، 1980م ، ص 215 .

23 ـ ينظر : الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ، د . ميشال زكريا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الحمراء ، الطبعة الثانية ، 1986 م ، ص 164 .

24 ـ قواعد النحو التحويلي بين نعوم تشومسكي والنحو العربي ، عمر دومي ، دراسة تطبيقية في سورة آل عمران أنموذجاً ، رسالة ماجستير ، إشراف / الربيع أبو جلال ، جامعة محمد أبو ضياف ، 2016م ، ص 25

25 . البنية العميقة ومكانتها لدى النحاة العرب ، أ.د / عبد الله أحمد جاد الكريم حسن ،ص 5 .

26 ــــ اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد موسى ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ت ، الطبعة الخامسة ، 2015 م، ص 212 .

27 . ينظر : الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ، ص 163.

28 ــــ ينظر : نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم ، مختار رقاوي ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، قسم الآداب والفلسفة ، جامعة حسيبة بن أبو علي ، الشلف ، الجزائر ، العدد 13 ، جوان 2015م ، ص 10 .

29 . البنية العميقة ومكانتها لدى النحاة العرب ، ص 5.

30 ــــ اللسانيات (المجال الوظيفة المنهج) ، سمير استيته ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، جدار الكتاب العالمي ، عمان ، الطبعة الثانية ، 2008م ، ص 178 .

31ـــ النظرية التوليدية التحويلية عند تشومسكي ، أ .د / حنان محمد خلف مقدادي ، جامعة طيبة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ن مجلة آداب ذي قار ، العدد 32، 2020م ، ص 153 .154 .

32 . قواعد تحويلية للغة العربية ، محمد علي الخولي ، دار الفلاح ، عمان ، 1999 م ، ص 7 .

33 . منهج البحث اللغوي ، محمد سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، د ط ، الإسكندرية ، 1990 م ، ص 146 .

34 . ينظر : نظرية تشومسكي اللغوية ، جون ليونز ن ص 135 .

35. قواعد تحويلية للغة العربية ، ص 21 وما بعدها .

36 . في اللسانيات ونحو النص ، إبراهيم خليل ، دار المسيرة ، الطبعة الثانية 2009م ، ص 97 .

37 . دلائل الإعجاز ، ص 917 .

38 ــ مصطلح التعليق في الدرس اللغوي القديم ــ عبد القاهر الجرجاني أنموذجاً ـــ، سفيان عيساويه ، رسالة ماجستير ، مقدمة لكلية اللغة والآداب ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2016 م ، ص 47 .

39 . دلائل الإعجاز ، ص41.40.

40 . أسرار البلاغة ، ص 113 .

41 . دلائل الإعجاز ، ص 349 .

42 . المرجع السابق ، ص 97 .

43 . اللُّغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، 2000م ، ص 188. 189.

44 . دلائل الإعجاز ، ص 8 .

45 . المرجع السابق ، ص 6 .